

## ما هو الخسران؟ وما هي الثروات التي يفقدها الخاسر الحقيقي؟

ما هو رأس المال الذي يجهل قيمته الخاسر الحقيقي؟

- هل فكرت إلى الآن في رأس مالك في الدنيا؟
- من هم الخاسرون الحقيقيون؟
- ما الفرق بين الخسارة والضرر؟
- ما هي الثروات التي يؤدي فقدانها إلى الخسران؟

في هذا المقالة سوف نجيب عن هذه الأسئلة.

عندما تكتشف يوماً أن كل ما بذلته من جهود لضمان راحة وسعادة أسرتك، أو لتربية أبنائك، أو حتى لتحقيق النجاحات في حياتك المهنية والعلمية، قد ذهب هباءً منثوراً، ماذا سيكون شعورك؟ هذا الاكتشاف يثير اليأس والشعور بالخسارة الحقيقية، فإن فقدان تلك الجهود يعني فقدان الوقت الثمين الذي لا يمكن استعادته. عندما نتأمل في أعماق وجودنا ونذكر قيمتنا وأصلنا الحقيقي، نجد كنزاً ثميناً. إن لم نحافظ عليه بشكل جيد، فسيصبح عرضة للخسارة والتدمير. فكما تتحول اليرقة إلى دودة القز، يمكننا أن نتحول في النهاية إلى فراشة جميلة تكتشف قدرتها على الطيران وتجد طريقها نحو الكمال. ولكن إذا انتهت حياتها قبل أن تتحول إلى فراشة، فإن ذلك سيكون خسارة مؤكدة.

هذه حقيقة واضحة بالنسبة لنا؛ فإذا كنا نغفل عن قيمتنا وأصلنا الحقيقي، فلن نصل إلى التقدم والتطور والمكانة التي نستحقها أبداً. بالنتيجة، سيكون ذلك بداية لخسارة كبيرة لنا. حتى لو تحققت لنا الثروة والمكانة والشهرة في مثل هذه الحالة، سنظل خاسرين حقيقيين.

## من هو الخاسر الحقيقي؟

المتضرر والخاسر الحقيقي هو من يفقد رأس ماله الأساسي الذي لا يمكن تعويضه إذا فقد. ولكن، ما هو هذا الرأسمال؟ هل هو الصحة؟ أم الثروة؟ أو ربما الأبناء، والشهرة، أو السلطة؟! قد نعتبر جميع هذه العوامل جزءاً من ثروتنا، غير أنه لا يعني فقدان أي منها فقدان رأسمالنا الحقيقي. في الواقع، إن ثروتنا المهمة في الدنيا هي العمر والهدف الذي خلقنا من أجله. لذا، يجب علينا أن ندرك ذلك ونكرس وقتنا وجهودنا للتقرب من الله والسعي للتشبه بسماته الحميدة خلال الفترة المحدودة التي نملكها في هذه الدنيا.

قد منحنا محبوبنا الحقيقي، جوهرة ثمينة تعرف بالعمر. تمر كل لحظة تقدم لنا فرصة للنمو الشخصي والتحول في رحلتنا عبر متاهات الحياة. إذا نجحنا في استخدام هذه الفرص وتحويل حبنا من الدنيا إلى حب الله، سنحقق في الآخرة الجنة ورضا الله. ولكن للأسف، يعيش بعضنا حياته يستمتع بلذائذ الدنيا فقط، متجاهلين خطورة هذا الخسران. إن القرآن يوضح أن الشخص الذي يتحمل العبء دون مقابل هو **الخاسر الحقيقي**، وبالتالي فإن الإنسان لفي خسر إلا فئة قليلة!<sup>1</sup> مما يعني أن الإنسان لا يمكنه الابتعاد عن الخسارة إلا في حال تحقيق هدف حياته بالكمال.

تناولنا في المقالات السابقة، قضايا الإنسان وحدوده وقيمه وأهميته الحقيقية. أكدنا على أنه من الضروري عدم إهدار وقتنا وجهدنا في مجالات لا تليق بكرامتنا الإنسانية، واستنتجنا أن عدم الوصول إلى مستوى ما وراء العقل وتجاهل حكمه على جوانب حياتنا يعني إهمال كمالنا النهائي والتنازل عن كرامتنا. فالاستثمار في أي جانب من جوانب حياتنا البعيد عن العقلانية يعتبر خسارة.

<sup>1</sup>. سورة العصر، ٢

تخيلوا معي مولودا لا يأتي إلى هذا العالم مجهزا بكل الأدوات والتجهيزات الضرورية لبداية رحلته في الحياة، فربما لم يكن بحاجة إلى العيون، والأيدي، والأقدام، وغيرها من الأعضاء أثناء وجوده في رحم الأم. ولكن، بمجرد ولادته، يتحول أي نقص أو فقدان في أعضائه إلى عوق يعاقب عليه بالصعوبات والتحديات والمعاناة. فالنمو الخيالي والمفترض للجنين في رحم الأم ليس جزءا من ثرواته أو ممتلكاته، حيث لا يتناغم مع طبيعة الحياة الواقعية في الدنيا. فتخيلوا الآن، في لحظة ولادتنا إلى الآخرة، نفقد الثروة والرأسمال الأبدي الذي كان يجب أن يكون معنا، ونجد أنفسنا غير قادرين على مواجهة الله بوجوهنا الإنسانية! أليس هذا يجعلنا في ظروف خاسرين حقيقيين؟

ما هو الخسران وما الفرق بينه وبين الضرر؟

الخسران يتضمن الضياع والنقص والهلاك في مفهومه اللغوي. فنحن نخسر أنفسنا عندما نتجاهل الوجه الحقيقي لذواتنا ونبدل حياتنا في سعينا وراء الكمالات الدنيوية، سواء كانت حيوانية أو نباتية أو جمادية. إذا لم نقيم بتنمية جانبنا الإنساني بشكل سليم، فسوف نتكبد أضرارا لا يمكن تعويضها بالروح والقلب أثناء سعينا نحو تحقيق التوازن والكمال النهائي. ولكن ما الفارق بين "الضرر" و"الخسران"؟ تخيل أن لديك رأس مال قدره خمسين مليوناً في بداية العام، وتستثمره في مشروعك. وفي نهاية السنة، تجد نفسك لم تحقق أي أرباح وبقي لديك فقط جزء صغير من الرأس المال الأصلي. هذا ما يعرف بـ "الضرر". ولكن إذا فقدت رأس المال بالكامل وأصبحت مديوناً، فإنك في الحقيقة تواجه "الخسارة". عندما ندفع أموالاً دون تحقيق أرباح كافية، فإن الضرر يمكن تعويضه، لكن إذا فقدنا رأس المال بالكامل وفي سياق الأبدية، فسنكون قد تعرضنا لخسارة حقيقية لا يمكن استعادتها، فنبقى بلا رأس مال للتعويض ونفقد الفرصة لاستعادته.

نجد أعظم الخسائر في أعماق أنفسنا، عندما نقوم ببيع عمرنا ورأسمالتنا الثمين بثمن رخيص وبسيط. نحن خاسرون حقيقيون إذا قضينا حياتنا كلها في السعي وراء تحقيق مطامح قصيرة النظر ومحبوبات عابرة غير إنسانية، بينما المحبوب الحقيقي الوحيد قد خلق كل شيء في هذا الكون من أجل محبته لنا. الدنيا هي سوق نبذل فيها رأس مال "الحياة" لنحصل على ما هو أعلى، وليس لنخسر ما نمتلكه بسهولة. الخاسرون الحقيقيون هم الذين لا يفقدون رأس مالهم فقط، بل يكونون سببا في خسارة الآخرين وإلحاق الضرر بهم أيضاً، وهذا ما يحدث عندما يرى الإنسان أن كل معنى لحياته يتمثل في متع الدنيا، فهو يفرح إذا تمتع بها ويحزن إذا ابتعدت عنه.

أشرنا في هذا النص، إلى أنه عندما يتمكن الإنسان من معرفة نفسه وفهم جوهر وجوده، فإنه يعرف الله كمحبوبه الحقيقي، ويدرك أنه لا يمكنه أن يجد السرور والسكينة إلا في وجود الهه الحقيقي، الذي يستحق مكانته السامية. فعلى الرغم من أن العالم وما فيه يبدو جاذبا ومغريا للغاية، إلا أنه يمكن للإنسان أن يجد الاتجاه نحو الجمال الأبدي والجاذبية الروحية في الدنيا. وفي هذا السياق، فإن ما وراء العقل هو الذي يسيطر على وجودنا ويمنحنا القيمة والكرامة الإنسانية، ويبقىنا بعيدين عن الضياع والخسارة!

وهل هناك أسباب أخرى يمكن أن تجعل الإنسان خاسرا حقيقيا؟ نحن نتطلع لمشاركة آراءكم وتجاربكم في هذا الصدد.